عَـجِـلَ الـمَـلـيـكُ لـهُ، فـأهـلَـكَ جـمـعَـهُ
بِـشَـنَـارِ مُـخْـزِيَـةٍ، وسُـوءِ عَـذَابِ[١]
لَـوْ كـنْـتَ ضَـنْـءَ كـريـمَـةٍ أبْـلَـيْـتَـا
حُسْنى، وَلَكِنْ ضَنْءَ بنتِ عُقَابِ[٢]

مِهْجَانُ الغِذَاء

«قال يهجو الوليد بن المغيرة»:

[من الطويل]

إذا نُـسِـبَـتْ يَـومـاً قُـرَيـشٌ نَـفَـتـكُـمُ
وإنْ تَـنـتَـسِـبْ شـجْـعٌ فـأنـتَ نَـسـيـبُـهَـا
وإنّ الـتـي ألـقَـتـكَ مِـنْ تَـحـتِ رِجـلِـهـا
وَلـيـداً، لَـمِـهـجَـانُ الـغِـذاءِ خُـبُـوبُـهَـا[٣]
وأمُّـكَ مِـنْ قَـسـرٍ، حُـبـاشَـةُ أُمُّـهـا
لـسَـمـراءِ فَـهـمٍ، آسِـنُ الـبَـولِ طِـيـبُـهَـا

لَوْلا مَا رُمِيْتَ بِهِ

«وقال للحارث بن عامر وكان فيمن سرق غزال الكعبة»:

حديث الغزال

«وكان من حديثه أن مقيس بن عبد قيس بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم كان بيته مألفاً لشباب قريش ينفقون عنده ويشربون فكان يعتاده فُتّاك

---

(١) المليك: اللّه سبحانه وتعالى. الشّنار: العيب.
(٢) الضنء: النّسل. أبليتها: عملت بها بالإجتهاد الحسن. بنت عقاب: هي أمّه أسماء بنت مخربة بنت عقاب، وعقاب هو عبد لبني تغلب.
(٣) المِهْجان: من هجّن الأمر، أي عابه. الخبوب: مفردها خبّ، وهو الخداع.

قريش وخلعاؤهم منهم أبو لهب بن عبد المطلب والحكم بن أبي العاصي والحارث بن عامر بن نوفل والفاكه بن المغيرة ومليح بن الحارث بن السباق بن عبد الدار وأبو إهاب بن هزيز بن قيس بن سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد اللّه بن دارم وقيس بن سويد، وكان قيس أخا عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه وأمه كهيفة من بني جندل بن أبير بن نهشل، وكان حليفاً لهم، وأبو مسافع الأشعري حليف بني مخزوم، وديك وديبك من خزاعة يخدمونهم، فاجتمعوا في بيت مقيس، وله قينتان يقال لهما: أسماء وعثمة، فتغنّت أسماء وقد نفد شرابهم، شِعْر رجل من بلي:

أبوهة كري الخمر بين صحابتي
فإن نداماي لديك عطاشُ
فإن يك يوماً لم يتم نعيمه
وزالت ضُحاهُ فالدُّموع رشاشُ
فيا ربّ يوم قد شهدت وليلة
لها نشوات جمة ومعاش
خلوت بها قد مات نحس نجومها
ندامايَ فيها: عامر وخداشُ
إذا غلبت لبيهما الخمر، وانتشت
مفاصل لذات معاً ومشاشُ
وجدتهما لم تظهر الخمر فيهما
إذا قيل: أحلام الرجال فراشُ

وعامر وخداش ابنا زهير بن جناد الكلبي، وقد كان قال لهم ديك وديبك إنّ عيراً قد أقبلت من الشّام تحمل خمراً، فأناخت بالأبطح، فقال أبو لهب: ويلكم، أما عندكم نفقة؟ قالوا: لا واللّه. قال: فعليكم بغزال الكعبة، فإنما هو غزال أبي، وكان عبد المطلب استخرجه من زمزم، وذلك أنه لمّا حفرها وجد فيها سيوفاً قديمة، والغزال، فجعله للكعبة، فقاموا فانطلقوا وهم

يهابون، وقد أصابتهم ليلة باردة، فيها ظلمة ومطر، حتى انتهوا إلى الكعبة، وليس حولها أحد، فحمل أبو مسافع وأبو لهب الحارث بن عامر على ظهورهما حتى ألقياه على الكعبة، فضرب الغزال فوقع، فتناوله أبو لهب، ثم أقبلوا به، فقال أبو لهب: قد عرفتم أن الغزال غزال أبي، ولي ربعه، فأتوا منزل ديك وديبك، فكسروه، فأخذوا الذهب وعينيه، وكانتا من ياقوت، وطرحوا ظرفه، وكان على خشب، في منزل شيخ من بني عامر بن لؤي، فأخذ أبو لهب العنق والرأس والقرنين، ودفع القرطين إليهم، وقال: هذا لأسماء وعثمة، وانطلق، ولم يقربهم، وذهب القوم، فاشتروا كل خمر كانت بالأبطح، ثم أقبلوا بها إلى أصحابهم، فشربوا وقرطوا الشنف والقرطين القينتين، فمكثت قريش أياماً، ثم افتقدوا الغزال، فتكلموا فيه، وأعظموه، وكان أشدهم كلاماً، وأجدهم عبد اللَّه بن جدعان، وتكلمت قريش، فلم يبالغ أحد مبالغته، كان يقوم فيقول: أشهد أنه لم يجرؤ عليه غيركم، ولم يسرق الغزال غيركم، وايم اللَّه لئن لم ينه حلماؤكم سفهاءكم، لتنزلن بكم النقمة! فلمّا أكثر قال له حفص بن المغيرة: قد أكثرت في أمر الغزال ولست بأولى قريش به، إنما هو غزال عبد المطلب، وهذا الزبير وأبو طالب ابنا عبد المطلب لا يتكلمان، وأما أبو لهب عندي فليس بخلِيّ منه، فاكفف! فغضب الزبير وأبو طالب فقالا: لا تزال تناضل من دونه كأنك تعرف صاحبه، وايم اللَّه لئن ثقفناه لنقطعن يده! فمكثوا يشربون شهراً أو أكثر، ثم إن العباس بن عبد المطلب مرّ، وهو غلام شاب، آخر النهار في حاجة له، بعد ذلك بشهر، بدور بني سهم، وقد لغط القوم، وثملوا، وهم يرفعون أصواتهم، فأصغى لهم فسمع بعضهم يقول: غنّيانا بقول أبي مسافع:

إنّ الغزال الذي كنتم وحليته
تقنونه لخطوب الدهر والغِيَرِ
طافت به عصبة من شرّ قومهِمُ
أهل العلا والندى والبيت ذي السُّتُرِ
فٱستقسموا فيه بالأزلام علّكُمُ
أن تخبروا بمكان الرأس والأثر

إنّي، وإنْ أجنبياً كنت عن وطني
فإنّ حلفي إلى عمران أو عُمَرِ
ريحانَة القوم لا أبغي لحِلْفِهمُ
حلفاً، ولا غيرهم حياً من البَشَرِ

وعمران وعمر هما ابنا مَخْزُوم فغنّتا، فأقبل العباس فقال: يا أبا طالب هل لك في سرقة الغزال؟ قال: ومن هم؟ قال: هم في بيت مقيس، ولم أرهم، فتعالوا فاسمعوا، فأقبل أبو طالب والزبير وابن جدعان ومخزمة بن نوفل والعوام بن جويلد حتى دنوا من الباب، فسمعوهم يقولون غنّينا، فقال أبو مسافع: غنّيهم بقولي هذا:

أبلغ بني النّضْر أعلاها وأسفلها
أن الغزال وبيت اللّه والرُّكُنِ
أمست قِيَانُ بني سهم تقسّمه
لم يَغْلُ عند نداماهنّ في الثّمَنِ
ظَلَلْنَ يجري فَتِيْقُ المِسْك بينهُمُ
على مفارقهم فناً على فَنَنِ
وقهوة قُرْقُف يغلي التّجار بها
حانية عُتِّقت في الدّنِّ من زَمَنِ

فقال أبو طالب: لا شك هؤلاء أصحاب الغزال وإن دخلتم الساعة أصبتموهم سكارى لا يعقلون عنكم ولا يفقهون، ولا نحبّ أن ندخل عليهم إلّا ومعنا من الأحلاف الذين تحالفوا بعد الحلف الأول مَنْ نحتجّ عليهم بهم، ولم يكن عبد شمس ولا نوفل دخلوا في ذلك الحلف، فأخروا ذلك إلى غد، فلمّا أصبحوا غدوا إلى بني سهم، فقالوا: يا بني سهم تعلمون أن غزال ربكم سرقه ندماء مقيس، فهم في بيته فادخلوا معنا نفتشه. فقاموا معهم، فلمّا دخلوا وجدوا مقيساً غائباً، ووجدوا جُنّة الغزال، وهو غمده الذي يكون فيه، وكان أديماً عربياً، فقالوا: ما نبغي عليه بيّنة غير هذا، وأخذوا القينتين، فلزموهما

فوجدوا إحداهما مقرّطة قرط الغزال والأخرى مشنّفة بشنفه، فقالتا: نحن آمنتان، ونخبركم الخبر. فقالوا: نعم، فأخبرتا، فسمّتا أبا لهب، فاتهموه لأنه غبر عنهم تلك الأيام، فطلبوهم فتغيبوا، فبلغهم أن الغزال كسر في بيت ديك وديك، فهرب ديك وأُخذ ديك، وضبطوه من خلفه، ومد يده ابن جدعان، وأنحى عليه الشفرة، وكانت كليلة، حتى قطعها، فلم يلبث إلّا يوماً حتى مات، ثم إن المطيبين نافروا الأحلاف، وقالوا: لا نرضى حتى نقطع أيديهم، أو يردوا الغزال بعينه (والمطيبون بنو عبد مناف، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر، والأحلاف بنو عبد الدار بن قصيّ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو سهم، وبنو جمح ابني عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عديّ بن كعب) أو يؤدي كل رجل منهم مائة ناقة، فمكثوا بذلك، ثم إن الحارث بن عامر أُخرج، وقد أُلبس حلة لمطعم بن عديّ، وقد أهلّ بعمرة وطاف بالبيت لا يكلمه أحد، ثم خرج على وجهه، فمكث عشر سنين لا يدخل مكة، فقال أبو إهاب: ما يمنعكم أن تصنعوا بي مثل ما صنعتم بصاحبكم؟ أمن أجل أني حليف تستخفون بي؟ فلم يجيبوه إلى ما أراد. فقال يعاتبهم:

لعلّ بني نوفلٍ أصبحوا
تحرّقهم أرم المصطلي
كأنّ فتى لم يحب قبلنا
وأنهاك نوفل أن تُوكلي
أمطعم مجدكم أول
فأنتم على الأثر الأولِ
أتطعم تيماً وأشياعها
هبلت، وزدت على المهبلِ
ضبائر من يحمنا بغضة
وتقعد حسل ولم نُوكلِ

فلمّا سمعوا هذا الشعر غضبوا، فألبسوه حلة، وأخرجوه مهلّلاً بعمرة، فهرب فلقي أبا مسافع فقال: يا أبا مسافع أين قولك:

إنِّي، وإن أجنبياً كنت عن وطني
فإنَّ حلفي إلى عمران أو عُمَرِ

ما أرى عمران أو عمر صنعا بك خيراً، وايم اللَّه، لو كان حلفك إلى هذا، يعني مطعماً أو نوفلاً، لأمنت روعك وبرز وجهك. قال: فما مدحته حين آمنك. قال: بلى قد قلت:

أبلغ قصيًّا إذا جئتها
فأيّ فتىً ولدت نوفلُ
إذا شرب الخمر أغلى بها
وإن جهدت لومه العذّلُ
دعاه إلى الشّنْف شَنْف الغزا
ل حبّ بخمصانة عيطلُ
لعثمة حين تراءت له
وأسماء عاطلة، أجملُ

فقال عبد اللَّه بن جدعان، وكان أشد القوم في أمره وكان لا يقوى إلّا بأبي طالب والزبير ومخرمة، فأتاهم فقال لهم: يا هؤلاء سَرَقَة غزالكم آمنون، وأنتم جلوس؟ فقام أبو طالب قياماً شديداً، حتى غُيِّب الرجلان، وخافوا عليهما القتل، فقال أبو إهاب:

يا للرجال لأحلام مضلّلة
لو كان ينفعها حزم وتجريبُ
دار ابن جدعان مأوى كل باغية
فكيف يجمع فيها البرّ والحُوبُ

مـا لـي أرى أسـداً تـغـلـي صـدورهُـمُ
كـأنـمـا وهـنـت مـنـهـا الـظـنـابـيـبُ
ألـبـيـت فـضـلٌ لـعـبـد الـدار دونـكُـمُ
وأنـتُـمُ نـفـرٌ سـودٌ جـعـابـيـبُ

وإنما عرض بقيان عبد اللَّه بن جدعان، فقامت بنو أمية، فأعانوا الأحلاف حتى كادوا يقوون، فأقبل عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو سفيان بن حرب، وسعيد بن العاص، وأسيد بن أبي العيص، ونفر من شيوخ قريش، فتحدثوا، وذكروا الغزال، وحث بعضهم بعضاً أن ينصروا الأحلاف، فقال أحيحة: أطيعوني، ولا تعرضوا في أمر هذا الغزال، فإن عندي منه علماً. قالوا: فما علمك؟ قال: حدثني أبي عن أبيه أن قبيلتين من العرب نزلوا مكة، فأهلكوا في شأن ظبي قتله رجل منهم، فاستؤصل أحرارهم ورقيقهم. قالوا: ما سمعنا هذا! قال: بلى، وعندي به شعر قاله عبد شمس. قالوا: فأنشدناه، فأنشد:

يـا رجـالات قـصـيّ، بـلـد
مـن يـرد فـيـه مـلـذات الـظـلـمْ
يـقـرع الـسـن وشـيـكـاً نـدمـاً
حـيـن لا يـنـفـع عـذر مـن نـدمْ
طـهـروا الأثـواب لا تـلـتـحـفـوا
دون ديـن الـلَّـه مـنـهـا بـنـقَـمْ
ثـم قـومـوا عـصـبـاً فـي شـأنـه
بـوقـار الـبـرّ فـي الـشـهـر الأصـمّ
هـل سـمـعـتـم بـبـقـايـا عـرب
عـطـبـوا فـيـه وحـيّ مـن عـجـمْ

هـلـكـوا فـي ظـبـيـة يـتـبـعـهـا
شـادن أحـوى لـه طـرف أحـمّ
عـاقـه عـنـهـا، فـمـا يـتـبـعـهـا
حـيـث آوتـه إلـى جـنـب الـحـرمْ
فـرمـاه بـظـهـار ريـشـه
فـاشـتـوى مـنـه، فـأطـعـم وقـسـمْ

قالوا: فكيف كان هلاكهم؟ قال: أقبلت حيّة من الجبل، فجعلت تنفخ عليهم من جوفها أمثال الرماح من النار، فجعلوا يحترقون حتى هلكوا جميعاً. قالوا: أنّى يكون هذا؟ قال: أما سمعتم بقول عبد شمس:

فـأتـاه حـيـة مـن خـلـفـه
أحـجـن الـنَّـابَـيْـن وثّـاب خـصـمْ
فـرمـاه بـشـهـاب ثـاقـب
مـثـل مـا أوريـت بـالـرمـح الـضّـرمْ

قالوا: فواللّه لا ندخل في شيء من شأنه! فعند ذلك وهن أمر الأحلاف حتى صالحوهم صلحاً على خمسين ناقة، فدفعت إلى أبي طالب والزبير، فرفدا بها الكعبة والحجاج، ومن لم يعط الخمسين ناقة لم يزل خائفاً حتى بعث اللّه النّبيّ ﷺ، فلمّا كان يوم بدر أقبل أبو مسافع وأصحابه الذين هربوا فقالوا: يا معشر قريش لِمَ تنفوننا وتطردوننا، أما لنا عندكم أن نقاتل محمداً وأصحابه، فإن قتلنا فهو ما تريدون، وإن بقينا فهو عوض ما صنعنا. فأقبلوا فشهدوا بدراً، فقتل أبو مسافع والحارث بن عامر، وأفلت أبو إهاب، وقد كان الحارث بن عامر يجالس النّبيّ ﷺ، قبل أن يخرج وأعجبه حديثه، فقالت قريش: قد صبأ، فقتل يوم بدر، قتله خبيب، فقال حسّان بن ثابت:

[من البسيط]

يـا حَـارِ قـدْ كـنْـتَ لـوْلا مـا رُمـيـتَ بِـهِ
لـلّـهِ دَرُّكَ، فـي عِـزٍّ وفـي حَـسَـبِ

جَـلّـلْـتَ قَـوْمَـك مَـخـزَاةً وَمَـنـقـصَـةً
مـا لـم يُـجـلَّـلـهُ حَـيٌّ مِـنَ الـعَـرَبِ
يـا سـالِـبَ البـيْـتِ ذي الأرْكـانِ حِـليـتَـهُ
أدِّ الـغَـزَالَ، فَـلَـنْ يَـخْـفـى لـمُـسْـتَـلِـبِ
سائِل بَني الحارِثِ المُزري بمَعشرِهِ:
أيْـنَ الـغَـزَالُ عـلـيـهِ الـدُّرُّ مِـنْ ذَهَـبِ؟
بِئسَ البَنونَ وبِئسَ الشيخُ شيـخُـهُـمُ
تَـبّـاً لِـذلِـكَ مِـنْ شـيـخٍ ومِـنْ عَـقِـبِ

وطلبت قريش الحكم بن أبي العاص أولاً فمنعته بنو أمية وبلغ أبا لهب أن قريشاً تأتيه فتوارى وكان له عشر خالات من خزاعة فولدن فيهم فأكثرن فبسط بسطه ونادى فيهم فأقبل إليه من بني خالاته جمع كثير فلم يقربه أحد وقالوا: دعوه لإخوته، فقال شيبان بن جابر السلمي حين أراد أن يحالف بني هشام ويذكر أمر أبي لهب وهذا حلف الغيدان من خزاعة:

أحـالـفـكـم حـلـفـاً شـديـداً عـقـوده
كـحـلـف أبـي عـمـرو أبـاك ابـن هـاشـمِ
عـلـى الـنـصـر مـا دامـت بـنـجـدٍ وثـيـمـة
ومـا سـجـعـت قُـمْـريّـة بـالـكـراتـمِ
هُـمُ مـنـعـوا الـشّـيـخ الـمُـنَـافـيَ بـعـدمـا
رأى حـمـة الإزمـيـل فـوق الـبـراجـمِ

ووجدوا ظرف الغزال في بيت العامري الشيخ الأعمى فقال: لا علم لي بما صنعوا في داري وأنا أعمى، فقتلوه.